المقدمة العامة

ترتبط الرفاهية العمرانية بالتفاعل الحاصل داخل النظام البيئي المحيط بالإنسان، وقد اتفق العلماء على أن النظام البيئي المحيط بالإنسان والمتكون من ثلاثة عناصر رئيسة. "البيئة الطبيعية، البيئة المشيدة، البيئة الاجتماعية " تتفاعل فيما بينها لتكون إطارا لمعيشة الإنسان يتميز بالراحة والرفاهية التامة، وقد أكد الدكتور "مصطفى بدر" في كتابه "تنسيق وتجميل المدن والقرى" أن البيئة المناسبة هي التي توفر للإنسان الأمان والراحة والرزق والسعادة.

وتعتبر الصحراء من البيئات التي يصعب العيش فيها نظرا لظروفها الطبيعية القاسية، ورغم ذلك إلا أن الصحراء احتضنت أعظم الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.الحضارة الفرعونية على ضفتي النيل ، حضارة سومر، بابل، أشور في بلاد الرافدين، قبائل هنود الاباشى والنفاهو في صحارى تكساس، حضارة المغول في صحراء الصين، حضارة الانكا في صحراء اتاكاما بالبيرو. وفى هذا الإطار أكد البروفيسور "مارك كوت" فيما يخص استقرار الإنسان في الصحراء "أن الغزو الأول لإنسان الصحراء قد بدأ مع ازدهار عصر تجارة الذهب والملح بين شمال وجنوب الصحراء، حيث سيرت القوافل التجارية لتشق قلب الصحراء، متخذة لها محطات للاستراحة والتزود بالماء حول منابع المياه المتواجدة على طول الطريق"، ويضيف الدكتور علقمة جمال في هذا السياق "أن الإنسان استقر في هذه المحطات وبدأ بزارعة المحاصيل المعيشية وغرس أشجار النخيل وتكون تجمع بشري متكامل ومتناقض مع محيطه الصحراوي، هذا الأخير الذي يدعى بالواحة"، حيث أصبحت محطات لتزويد القوافل التجارية العابرة للصحراء بالماء والمؤن وفى بعض الأحيان يتم التبادل التجاري بين الواحة والقوافل العابرة طريقها. مشكلة بذلك معلما ورمزا للقوافل العابرة للصحراء، ولقد وفرت الواحة المظلة الطبيعية التي حمت الإنسان من التعرض للعوامل الطبيعية المحيطة به، و ساعدته على العيش في ظروف بيئية قاسية ، ومن هنا تكمن روعة وجمال الواحة للتناقض الكبير بين المناخ الداخلي والمناخ الخارجي المحيط بها، موفرة بذلك الراحة الفيزيائية والنفسية لإنسان قاطن المناطق الصحراوية، وهكذا شكلت الواحة النواة الأولى للعمران في المدن الصحراوية وطبعت عليها طابعها الواحاتى ووفرت للإنسان أقصى شروط الرفاهية

النفسية والفيزيائية ومكنته من الاستقرار في البيئات التي يصعب فيها الحياة، وفى القطـــر الجزائري، حافظت المدن الصحراوية الجزائرية على طابعها الواحاتى والتي تميزت بـــه منذ مدة طويلة وحتى وصول المستعمر الفرنسي الذي حارب السكان المحليين في ديـــنهم وثقافتهم وهويتهم ومأكلهم ومشربهم وكل ما يتعلق بهم.

هذا الدخيل الجديد الذي أحدث التلوث بجميع أشكاله في المنطقة وقضى على نشاط السكان المحليين وهو (الزراعة) وجعلهم يعملون في مهن لا يعرفون عنها شـــيئا ســـوى اسمها وتركوا مهنة الآباء والأجداد تندثر وتصبح أثرا بعد عين، ممـــا أدى إلـــى انهيـــار الواحة شيئا فشيئا، وليس هذا وحسب بل أصبحت تمثل رمزا للفقر والتخلف بعدما كانـــت تمثل رمزا لحضارة عريقة امتدت لآلاف السنين وأصبحت المدن الصحراوية المعاصـــرة تتميز بأنماط عمرانية مشوهة وقريبة من العشوائية أكثر منها إلى التنظيمية وغير منسجمة مع محيطها المعماري والعمراني والطبيعي وفى هذا الإطار يقول الدكتور "علقمة جمـــال" عن التعمير في المدن الصحراوية "أن واقع التجمعات بالصحراء ونشوء هذه التطورات العمرانية وذلك بوضع الأنسجة عمرانية غير متجانسة ومن دون أي توافق ولم تستطع أن تعطي صورة لمدينة متوازنة مع بيئتها وكذلك أدى هذا التموقع إلى ظهور أنماط جديـــدة من العمارة غير المتوافقة مع المعطيات المناخية والبيئية، وحتى التطور علـــى حســـاب عمارة طالما شكلت الصورة الحقيقية والمتزنة لعمارة محلية، وأفقدها عناصرها ومدلولها، وأصبحنا نرى من يوم إلى أخر ظهور عمارة رديئة منقولة من دون مهارة ولا إتقان عما ينتج بمدن الشمال والتي تشكل عنصرا دخيلا على بيئة الأحياء العتيقة والواحـــات التـــي أصبحت تعرف الاندثار البطيء ". وحال مدينة بسكرة حال كافة المدن الصحراوية للقطر الجزائري التي كانت في الأصل واحة، حيث اختفى الرونق الواحاتى الفخم والعريق عن المدينة وأصبحت المدنية تمثل فقط مكانا للنوم و الدراسة و العمل وانعدمت فيهـــا ادنـــي وسائل الراحة والرفاهية العمرانية سواء الجانب النفسي أو الجانب الفيزيـــائي، ودخلـــت المدينة في حالة ألا إعراب، بحيث شكلت المدينة قطيعة مع ماضيها وتخلفت عن مواكبة النظريات والمدارس العمرانية المعاصرة ، وبالتالي أصبحت مدينـــة بســـكرة ممســـوخة المنظر والمظهر، مما سبب حالة ملل واكتئاب لساكنيها وزوارها – مما يجعلها في أمـــس الحاجة إلى الكثير من الاعتناء والنظام والجمال. وليس هذا ترفا ولا مبالغة في مســـتقبل

مشرق، ولكنه ضرورة لتوفير الراحة اللازمة للإنتاج الجيد الذي أصبح ضرورة يجب توفيرها لمواجهة أعباء التزايد السكاني ولتعويض ما فات المدينة من مسايرة التقدم، ولتكون مدينة بسكرة مدينة تلبى جميع حاجات سكانها وتوفر لسكانها الرفاهية والراحة التامة من تخطيط عمراني متميز يقضي على الفوضى الحالية ويبرز النمط العمراني الواحاتى الجميل الذي كان يميز المنطقة منذ قرون عديدة، ومن هنا تحدد إشكالية البحث.

تحديد الإشكالية.

تتحدد مشكلة البحث في التقييم النوعي للعناصر المشكلة للنسيج العمراني والمتحكمة في مستوى رفاهية النسيج والمحافظة على النمط العمراني المحلي المرتبط بهوية وثقافة المنطقة المحلية، والتي من المفترض أن تكون من ضمن المكونات الأساس للنسيج العمراني في المناطق الصحراوية لتوفر الراحة والرفاهية اللازمة لسكان المدينة وزائريها على حد سواء.

وللإجابة على هذا التساؤل المطروح انطلقنا من الفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى.

يبدو ترييف المدينة أحد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى هذا التلوث العمراني والذي أدى إلى ظهور حالة اللاراحة للمستعملين.

الفرضية الثانية.

يبدو أن الطرق التخطيطية الشاملة التي تعتمد على المقاربة التطبيقية دون الأخذ بعين الاعتبار العناصر المحلية للمدينة من ماء ونخيل وأيضا المظاهر الحضارية الحديثة أدت إلى تدني الصورة الجمالية وانعدام الرفاهية في المدينة.

أهداف البحث.

تم تسطير أهداف البحث وفق النقاط الآتية:

1- التعريف بنقائص المدن الصحراوية من الناحية العمرانية و أيضا من ناحية رفاهية المدينة.

2- إيجاد حلول للمشاكل والنقائص العمرانية والرفاهية في المدن الصحراوية.

3- إرجاع الصورة الحضارية و الثقافية للمدن الصحراوية.

4- تصنيف المرافق العمرانية للرفاهية في المدينة الصحراوية.

5- التعرف على عناصر الراحة والرفاهية في المدن الصحراوية.

منهجية البحث.

من اجل التعرف على العناصر المكونة والمشكلة للنسيج العمراني والمتحكمة في مدى تحقيق الرفاهية داخل النسيج العمراني ارتأينا إلى العمل بمنهجية البحث المتكونة من مسارين يكونان مرتبطين ومتكاملين في مضمونهما ومختلفان في شكلهما ، بحيث يكون المسار الأول من المنهجية يتبع المنهج "التحليلي الوصفي" للنسيج العمراني والمنقسم في ذاته إلى مستوين أساسين، يكون المستوى الأول دراسة تحليلية لأنماط الأنسجة العمرانية المختلفة لمدينة بسكرة، بحيث يكون الهدف من وراء هذه الدراسة الوصول إلى الكيفية التي يتم بها تحديد الأنسجة العمرانية محل الدراسة وفى هذا الإطار ارتأينا إلى اعتماد الدراسة التي قام الدكتور "علقمة جمال" في إطار أطروحته الموسومة تحت عنوان (تحليل الأنمطة العمرانية لمدينة بسكرة 1995),أما المستوى الثاني من المسار الأول فيعتمد على التحليل الوصفي للإطار الفيزيائي للنسيج العمراني وذلك من أجل فهم التركيبة العمرانية للنسيج وتحليل مركباته وفهم العلاقة التي تربط العناصر المشكلة للنسيج العمراني بعضها البعض، وفى هذا الإطار ارتأينا إلى اعتماد المقاربة المرفونمطية L :APPROCHE LA TYPO MORPHOLOGIE والتي تعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، وضمن المستوى الثاني من المسار الأول للمنهجية ارتأينا إلى العمل وفق مستوين أساسيين في التحليل الوصفي للنسيج العمراني.

المستوى الأول:

يتعلق هذا المستوى من الدراسة بدراسة البنى التحتية للنسيج ونعتمد في هذه الدراسة على دراسة المخططات ورفع القياسات وأخذ الصور، وتميز عنصرين في هذا المستوى لدراستهم بشكل معمق وهما" 1- الطرق، 2- التحصيصات ".

المستوى الثاني:

يتعلق هذا المستوى من الدراسة بدراسة البنى الفوقية للنسيج كما نعتمد في الدراسة على جمع الخرائط ودراسة المخططات ورفع القياسات وأخذ الصور وفى إطار أهداف

البحث يمكننا أن نميز عنصرا واحدا في هذا المستوى لدراسته بشكل معمق وهو "المجال الحر".

أما المسار الثاني من المنهجية المتبعة للبحث فتنقسم إلى مستويين أساسيين المستوى الأول، الدراسة التطبيقية من خلال التجربة الميدانية، المستوى الثاني.الدراسة التطبيقية من خلال البيئة البرمجية.

المستوى الأول: وهى الدراسة التطبيقية من خلال التجربة الميدانية وتأتي مباشرة بعد مرحلة التحليل الوصفي للنسيج العمراني وفهم المكونات والعلاقات التي تربط العناصر المشكلة للنسيج العمراني بعضها البعض، حيث ارتأينا اعتماد تقنية الاستبيان عن طريق الاستمارة لتكون التقنية المعتمدة في التجربة الميدانية.

المستوى الثاني: الدراسة التطبيقية من خلال البيئة البرمجية، و اعتماد البيئة البرمجية " SPHINX PLUS 2 (V5) VERSION 5.1.0.3 " وذلك من أجل تحليل المتغيرات والعلاقات بين المتغيرات المدروسة عبر البيئة البرمجية المتبعة.

العينة المدروسة.

بإتباع الإشكالية المحددة للبحث والأهداف المسطرة له والمنهجية المتبعة وجب علينا تحديد دقيق للأنسجة العمرانية محل الدراسة وهذا من أجل التتبع الدقيق لمستوى الرفاهية العمرانية المحقق عبر الحقب الزمنية المختلفة التي شهدتها التركيبة العمرانية لمدينة بسكرة، وهذا يتطلب منا حصر الإنتاج العمراني لكل حقبة زمنية، وفهم هذا الإنتاج العمراني ومدى تحقيقه للرفاهية العمرانية داخل التركيبة العمرانية للمدينة.

- الحقبة التركية.

أنتجت هذه الحقبة النسيج التقليدي والذي يمثل جزءا من الواحة التقليدية القديمة لمدينة بسكرة ويتمثل إنتاج هذه الحقبة في النسيج العمراني لحي المسيد حاليا.

- الحقبة الاستعمارية.

أنتجت هذه الحقبة النسيج العمراني الاستعماري والذي شكل بداية ظهور الأنسجة العمرانية المخططة وتميز هذا النسيج بنمط عمراني مختلف تماما عن النمط الواحاتي ويتمثل إنتاج هذه الحقبة في النسيج العمراني لحي وسط المدينة وحي المحطة حاليا.

- حقبة ما بعد الاستعمار.

أنتجت هذه الحقبة الأحياء العشوائية وغير المخططة وهذا بسبب انعدام أدوات التخطيط والتوجيه والتسيير العمراني آنذاك ويتمثل إنتاج هذه الحقبة في النسيج العمراني لحي سيدي غزال حاليا.

-حقبة الوضع الحالي:

أنتجت هذه الحقب أنسجة عمرانية ظهر عليها نوع من التنظيم والتخطيط المسبق ويتمثل إنتاج هذه الحقبة في النسيج العمراني لحي الاستقلال حاليا.

- محتويات البحث.

ينقسم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام رئيسة.القسم الأول.الذي يتناول الدراسة النظرية للموضوع، القسم الثاني والذي يتناول دراسة تمهيدية للمنطقة وللدراسة التطبيقية والقسم الثالث الذي يتناول الدراسة التطبيقية في مجملها خمسة فصول متتالية بالإضافة إلى الفصل التمهيدي والخلاصة العامة والتوصيات.

- الفصل الأول.

تناولنا في هذا الفصل الدراسة النظرية لعناصر البيئة الطبيعية المؤثرة في رفاهية الإنسان، بحيث ينقسم الفصل الأول إلى بابين، الباب الأول.وفيه تناولنا الدراسة النظرية لعناصر البيئة الطبيعية وكيفية تأثيرها على الرفاهية الفيزيائية للإنسان وخصصنا بدراسة عناصر المناخ المتحكمة في مقدار الرفاهية الفيزيائية للإنسان.أما الباب الثاني فخصص للدراسة النظرية للأثر النفسي الذي تحدثه عناصر البيئة الطبيعية والتلوث البصري والعمراني على رفاهية الإنسان النفسية.

-الفصل الثاني.

ينقسم الفصل الثاني إلى بابين الباب الأول.تناولنا فيه الدراسة النظرية لمفهوم العمران واستعرضنا أهم النظريات والمدارس العمرانية بالإضافة إلى الأنسجة العشوائية ومراحل التخطيط العمراني وأهدافه.أما الباب الثاني فقد خصصناه للدراسة النظرية لمفهوم المدينة والمدينة الإسلامية والعمران الواحاتي.

-الفصل الثالث.

يعتبر الفصل الثالث فصلا تمهيديا للدراسة التطبيقية ولمنطقة الدراسة بحيث عرضنا المعطيات الفيزيائية و الجغرافية و المرفولوجية والمناخية والديمغرافية والاجتماعية بالإضافة إلى السرد التاريخي لمراحل التطور العمراني لمدينة بسكرة ومستوى الرفاهية المحقق لكل حقبة زمنية.

-الفصل الرابع.

وهو الفصل التحليلي حيث اعتمدنا فيه التحليل الوصفي للأنماط المختلفة للأنسجة العمرانية لمدينة بسكرة و استنتجنا من خلالها العينة محل الدراسة، كما اعتمدنا في هذا الفصل المقاربة المرفونمطية كمقاربة تحليلية وصفية لفهم ودراسة التركيبة العمرانية لكل نسيج من الأنسجة العمرانية محل الدراسة.

-الفصل الخامس.

وهو الفصل التطبيقي الرقمي من خلال البيئة البرمجية بحيث قسم هذا الفصل إلى قسمين القسم الأول وهى الدراسة التطبيقية من خلال التجربة الميدانية والقسم الثاني إدخال النتائج والمعطيات المتحصل عليها من العمل الميداني إلى البيئة البرمجية المناسبة وتحليلها وفق ثلاثة مستويات.المستوى الأول.الدراسة أحادية المتغير، المستوى الثاني.الدراسة ثنائية المتغير، المستوى الثالث. الدراسة متعددة المتغيرات.

الخلاصة العامة والتوصيات:

وقد ختمنا هذا البحث بوضع خلاصة عامة وشاملة لكافة مراحله، أين تم إثبات صحة فرضيات البحث، وفي الأخير ترجمت هذه الخلاصة على شكل نقاط وتوصيات.

تحليل المفاهيم.

-مجال رفاهية الإنسان.

حسب (ASHRAE)"هي عبارة عن مجموعة متألفة من درجات حرارة الهواء ودرجات الحرارة الإشعاعية ودرجات الرطوبة النسبية وسرعة الهواء التي يشعر أثناءها الإنسان بالراحة التامة والرضا الكامل وانعدام الشعور بالحرارة أو البرودة".

- **العمران.**

حسب (**Alfred Aghache**)" فن يلعب الخيال والتشكيل والتنظيم دورا مهما في تطبيقاته والعمران يجب أن يترجم إلى اقتراحات الأحجام والمنظور وملاحظات المهندس والاقتصادي وعالم الاجتماع وأخصائي الوقاية وهو عبارة عن فلسفة اجتماعية لكون المدينة تبحث عن تحقيق إطار ملائم لإيجاد مجموعة محلية منظمة، وكل ما أبدعه علم التنظيم والرفاهية من اجل توفير مستوى جيد من الرفاهية للإنسان".

- **أهداف التخطيط العمراني.**

حسب (د.خلف الله بوجمعة) "يهدف التخطيط العمراني إلى ضمان حق المواطن في العيش في وسط ملائم على صعيد السكن والعمل بهدف تأمين متطلبات المجتمع، والوصول إلى مستوى رفاهية جيد داخل النسيج العمراني".

-**الهجرة الريفية نحو الحضر.**

انتقال الأشخاص من منطقة جغرافية إلى منطقة جغرافية أخرى بقصد الإقامة.

- **المدينة.**

حسب (Robert Park) "إن المدينة ليست مجرد تجمعات من الناس مع ما يجعل حياتهم فيها أمرا ممكنا مثل الشوارع والمباني والكهرباء ووسائل المواصلات كما أنها ليست مجرد مجموعة من النظم والأدوات مثل المحاكم والمستشفيات والمدارس والشرطة وخدمات المدينة من أي نوع، إن المدينة فوق هذا كله تمثل اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد".

- **الواحة.**

حسب (د. علقمة جمال) "الواحة هي المكان الذي يمنح الراحة الفيزيائية والنفسية للإنسان في وسط محيط عدائي وقاس".